



## النداء التربوي

وفي الحديث: "قل آمنت بالله ثم استقم"، قيل هو الاستقامة على الطاعة، وقيل هو ترك الشرك<sup>1</sup>.

وقيمة الشيء: الثمن الذي يعادله، وقيمة الإنسان قدره<sup>2</sup>.  
ونستنتج من هذا التحديد أن كلمة "قيم" تحمل معاني متعددة، منها القدر والاستقامة والتمسك بالدين والثبات عليه.

## 2- المقاربة الاصطلاحية:

لقد تعددت تعاريف مفهوم "القيم" تبعا للحقول المعرفية التي تشتغل عليها، وجذورها وامتداداتها الفلسفية والاجتماعية والنفسية. فقد عرف معجم علوم التربية القيم بكونها "مجموع معتقدات واختيارات وأفكار تمثل أسلوب تصرف الشخص ومواقفه وآراءه، وتحدد مدى ارتباطه بجماعته"<sup>3</sup>.  
ويعرفها البعض بكونها "مجموعة من القوانين والأهداف والمثل العليا التي توجه الإنسان سواء في علاقته بالعالم المادي أو الاجتماعي أو السماوي"<sup>4</sup>.

## 3- المقاربة الإجرائية:

انطلاقا من المقاربة اللغوية للمفهوم، والتي نستنتج منها أن القيم تحمل معنى الاستقامة، وبناء على معالجتنا للقيم من منظور إسلامي، فإننا نستعمل مفهوم "القيم الإسلامية"، ونقصد به شعب الإيمان الوارد ذكرها في الحديث النبوي الشريف، حيث روى الشيخان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "الإيمان بضع وسبعون - عند البخاري بضع وستون- شعبة ( زاد مسلم): أعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إمالة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان".

1- نظر لسان العرب، ابن منظور، مادة "قوم".

2- المعجم العربي الأساسي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مادة "قيمة".

3- سلسلة علوم التربية، العددان 9-10، الجديدة، دار الخطابي، ص: 359.

4- الهادي عفيفي محمد، الأصول الفلسفية للتربية، مكتبة الانجلو مصرية، 1978، ص: 286.

## II - أهمية القيم:

نظرا لأهمية القيم التي يدعو إليها الإسلام، والتي يمكن أن تسع بظلالها الكون كله، وأن تشمل بعالميتها الإنسانية جمعاء، فقد قرن الله عز وجل بينها وبين المعرفة بشكل عام حين قال في أول آية نزلت: "اقرأ باسم ربك الذي خلق". فالقراءة ينبغي أن تكون باسم الله، والعلم ينبغي أن يقود صاحبه إلى الإيمان الذي يملأ الوجدان بقيم الخير والمحبة والخضوع. ولذلك نضى الله عز وجل صفة العلم عن "العلماء" الذين اهتموا بعلوم الدنيا، - وهي مطلوبة على كل حال - لكن لم يكن لهم حظ من علوم الآخرة والمعاد، قال تعالى: "... ولكن أكثر الناس لا يعلمون، يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا، وهم عن الآخرة هم غافلون" (سورة الروم الآيتان 5-6).

ما أحوج العالم إلى قيم الإسلام التي هي قيم إنسانية عالمية. إنها حاجة يعبر عنها عقلاء الإنسانية بأشكال مختلفة. يقول إدغار موران: "إن العالم المتحد الذي نطمح إليه، يجب أن يكون متعدد المراكز، وغير متمركز، ليس فقط سياسيا لكن ثقافيا أيضا. فالغرب الذي بدأ يتحول إلى قرية صغيرة، يحس بحاجته للشرق، بينما نجد أن الشرق الذي يتغرب، يحرص أن يظل وفيما لذاته كشرق. صحيح لقد طور الشمال الحساب والتقنية لكنه خسر نوعية الحياة، بينما نجد أن الجنوب متخلف تقنيا لكنه حريص على مراعاة الحياة، في أشكالها المتعددة. ثمة نوع من الحوارية يجب من الآن فصاعدا، أن تعمل على خلق تكامل بين الشرق والغرب، بين الشمال والجنوب"<sup>5</sup>.

## III - وظائف القيم:

لا يمكن لأية أمة أن تنشأ التنمية الشاملة دون أن يكون لها نظام تربوي قوي بكفايته الداخلية والخارجية. ولا يمكن لأي نظام تربوي أن يكون كذلك، إلا بمدى قدرته على تخريج أفواج مؤمنة بقيمها وأصالتها من جهة، خبيرة مدربة في مجال العلوم والتقنيات من جهة أخرى. وذلك لأن التنمية الشاملة لا تعتمد على الكفايات والمهارات والمعارف التي يستطيع المتعلم امتلاكها

5- إدغار موران، تربية المستقبل، ترجمة عزيز لزرق، ومنير الحجوجي، منشورات اليونسكو، 2002، ص: 71

فحسب، "بل أيضا على القيم التي يتمسك بها وعلى المواقف والاتجاهات التي يتخذها حيال كثير من الأمور في المجتمع، ومنها حيال العمل وطبيعته والزمّن واستثماره والتعاون ومداه، فعلى مثل هذه الجوانب الوجدانية والخلقية والإرادية في الإنسان، وعلى ما فيها من الإيجابيات تعتمد التنمية الشاملة إلى حد بعيد، وأهميتها قد لا تقل عن أهمية الجوانب المعرفية فيها"<sup>6</sup>.

#### IV. تصنيف القيم:

بقدر ما تعددت تعاريف مفهوم "القيم"، تعددت التصنيفات بالنظر إلى المعايير المعتمدة في التصنيف، وكذا إلى طبيعة الزوايا المنظور منها إلى القيم وأنواعها.

وباعتبارنا نتحدث اليوم عن النظام التعليمي المغربي، وعن المجتمع المغربي المسلم، في ارتباط بإشكالية القيم، وانسجاما مع رؤيتنا للدين الإسلامي باعتباره عقيدة وشريعة، ودينا شاملا للشخصية في أبعادها المختلفة: الوجدانية والمعرفية والحسية والمهارية والتواصلية، وللحياة الإنسانية في مجالاتها المتعددة: العقدية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغيرها، فإنه يجدر بنا النظر إلى القيم من منظور إسلامي، خاصة أن بعض التصنيفات الغربية تجعل القيم الدينية جزءا من القيم الأخروية، انسجاما مع رؤيتها اللائكية للدين، في حين نستنكف نحن أن نجعل الدين فرعاً وهو الأصل، وأن نجعله جزءاً وهو "نظام الحياة الكامل الشامل لنواحيها الاعتقادية والخلقية والعملية، ففي الدين يذعن المرء لسلطة عليا هو الإله، ويقبل طاعته، ويعتقد بشريعته، ويرجو حسن الجزاء، ويخشى سوء العقاب"<sup>7</sup>.

#### V. القيم الإسلامية: التصنيف والخصائص:

نظرا لغنى القيم الإسلامية وامتداداتها في حياة المسلم، وتعدد توظيفها في مختلف مناحي الحياة، تباينت الاجتهادات في تصنيفها حسب المجالات.

6- الشريف محمد احمد وآخرون، تقرير استراتيجية تطوير التربية العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، بيروت، دار الريحاني للطباعة والنشر، 1979، ص: 300.

7- أبو الأعلى المودودي، المصطلحات الأربعة في القرآن الكريم، ص: 130.

ومنها تصنيف القيم الإسلامية إلى المجالات التالية<sup>8</sup>:

1. القيم العقائدية والتعبدية.
2. القيم الفكرية والثقافية.
3. القيم الاجتماعية والأسرية.
4. القيم التواصلية.
5. القيم الاقتصادية والمالية.
6. القيم الوقائية والصحية.
7. القيم الحقوقية.
8. القيم الفنية والجمالية.
9. القيم البيئية.

إن العقبة الأساس لا تكمن في تصنيف القيم الإسلامية إلى المجالات السابقة، بل في كيفية إكسابها للإنسان المسلم، وبأية طريقة، وبأي منهاج؟ وهذا ما حاول الأستاذ عبد السلام ياسين الإجابة عنه عمليا من خلال مبادرته الرائدة في نظم شعب الإيمان / القيم، في سلك المنهاج النبوي، حيث قسمها إلى عشر خصال / مجالات، ووضع تحت كل صنف ما يناسبه منها، موضحا سبل اكتسابها، واضعا أسس الارتقاء بالمسلم في مدارج الإيمان، منطلقا في كل ذلك من رؤية تجديدية للدين اعتمادا على الأصول والمصادر الشرعية. وعلى سبيل المثال، فإن خصلة التؤدة، تشتمل على شعب الإيمان التالية (الصوم، القيام في حدود الله، حقن الدماء والعفو عن المسلمين، حفظ اللسان والأسرار، الصمت والتفكير، الصبر وتحمل الأذى، الرفق والأناة والحلم ورحمة الخلق، التواصل)<sup>9</sup>. وتشرب المؤمن لشعب هذه الخصلة، قمين بجعله يتحمل صنوف الأذى الحسية والمعنوية في سبيل تبليغ رسالته وأداء أمانته، بحكم نيابته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. كما تجعله متشعبا بروح التواصل والتراحم والتفاهم مع الآخر بغض النظر عن معتقده أو عرقه أو لغته، حفاظا على الأخوة الإنسانية، عسى أن يسمع هذا الآخر نداء ربه فيستجيب لهدي الإسلام وبشارة الإيمان. يفعل المؤمن ذلك كله، دون نزوع نحو العنف، ليس خوفا من

8- خالد الصمدي، القيم الإسلامية في المناهج الدراسية، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم، الرباط، مطبعة المعارف الجديدة، 2003، ص: 36.

9- انظر كتاب: "المنهاج النبوي تربية وتنظيما وزحفا"، للأستاذ عبد السلام ياسين، 1989، ص: 300-316.

سدنة الفساد في الداخل والخارج، ولكن تعبدا وامثالاً لله رب العالمين، واستناناً برفق سيد الأولين والآخرين.

ومن مميزات القيم الإسلامية أنها قيم يؤطرها المصداق الأساسيان للتشريع الإسلامي وهما القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، ومن ثم فإنها تكتسب سمة الخلود، وتمتلك خاصية التكيف مع المستجدات دون فقدان خصائصها الجوهرية. كما أنها قيم يمثل لها المسلم بوازع إيماني وليس برقابة اجتماعية أو قانونية، وذلك لما يترتب عن الامتثال لها من جزاء أخروي.

## VI. القيم الإسلامية وحقوق الإنسان:

إن للإسلام منظومة متكاملة لحقوق الإنسان، قام باحثون باستخراجها من نصوص القرآن الكريم، بلغت في بعض التصنيفات خمسة وثلاثين حقاً، وهي: "حقوق الإنسان في عموميتها، حقوق ما في الأرحام، حق المولود، حق اليتيم، حق السائل والمحروم، حق المساكين، حق ابن السبيل، حق ذي القربى، حق الأسير، حق التربية والتعليم، حق الوالدين، حق الجار القريب والجار البعيد، حق بناء الأسرة، حقوق المرأة، حقوق الزوج على الزوجة وحقوق الزوجة على الزوج، حقوق المودة والمعاشرة الزوجية، حق المساواة بين الرجل والمرأة، حق الشيخ، حق الميت، حق المريض، حق الإنسان في العدل، حق كرامة الإنسان، حق التبني، حق اللجوء، حق استخدام الإنسان للطبيعة، حق العمل وجزاؤه، حق الهجرة والإقامة، حق الحياة، حق الدية في النفس، حقوق الأقليات، حق الحرية الدينية، حق الإنسان في حكمه بالشورى، حق الأموال والممتلكات، حق الأمن من الخوف وحق الأمن الغذائي، حق قيام الأحزاب والمعارضة"<sup>10</sup>.

ويسعدني في هذا المقام، أن أترك الأستاذ عبد السلام ياسين، يعبر عن تصورنا لقضية حقوق الإنسان، وما أثير حولها في العصر الراهن، من خلال فقرات منتقاة من كتابه "حوار مع الفضلاء الديمقراطيين":

10- عبد الهادي بوطالب: "إسهام المعتقدات والديانات السماوية في ترسيخ قيم حقوق الإنسان"، مجلة عالم التربية، العدد 15، ص: 53.

إننا نحیی الجمعيات الحرة المدافعة عن حقوق الإنسان حقاً وصدقاً. هذه الجمعيات غير الحكومية هي صوت الضمير الغربي الغاطس في جبروته. وهي المحاور المنتظر للإسلام، عسى تكون لمروءتها أذن تسمع يوماً نداء الإسلام إلى حقوق الإنسان كاملة غير منقوصة، أرضية سماوية، تمنع تعذيب الإنسان في الدنيا وتعريضه لعذاب الآخرة (ص 210).

أصبح لنداء حقوق الإنسان... استجابة عالمية. يهضو المظلومون والمقهورون إليه متطلعين للعدل والكرامة والإنصاف والحرية، وما هذا النداء الكريم... إلا المروءة الكبرى التي ينبغي أن يجتمع عليها بنو الإنسان ويجعلوها ميثاقاً لإنسانيتهم (ص 210).

كلمتنا أننا ننكر أشد الإنكار ونشمئز أشد الاشمئزاز من تفخيخ الطائرات وقتل الأبرياء والعدوان على أهل الأمان (ص 213).

الأصل في تعايش أهل الأرض الأمان. والاستقرار العالمي مطلب لنا عزيز. ذلك أننا لنا دعوة نريد أن نبلغها للعالمين. وهي دعوة رفق لا عنف، وصدق لا نفاق، وترغيب لا ترهيب، واختيار لا إكراه. وأفضل مناخ لتبليغ رسالتنا هو السلام في العالم والتواصل والتعارف والرحمة (ص 213-214).

يقول السجل التاريخي إن المسلمين ما كانوا قساة ولا جفاة ولا جلادين للشعوب يوم برزوا بتلك القوة على مسرح العالم. ما دخل الناس في دين الله تحت طائلة السيف، بل حُب إليهم الإسلام فضائل الإسلام، وحُب إليهم الإسلام رفق المسلمين بهم وعدلهم واحترامهم لحقوق الإنسان (ص 214).

رأس حقوق الإنسان عندنا، وأم الحريات، ومنبع الكرامة، تحرير الإنسان من كل عبودية غير العبودية لله رب العالمين لا شريك له. ومن حقه في معرفة ربه وخالقه تنبثق سائر الحقوق. بمعرفته لله رب العالمين وربّه يكون حق الآخرين عليه واجبا دينيا يؤديه بإخلاص ووفاء، عبادة يعبد بها ربه، لا تعاملها مع القانونية البشرية (ص 216).

إن روح الأخوة الإنسانية تفرض على المؤمن أن يسلم الناس من شره. وتفرض عليه أن يريد الخير لنفسه ولغيره. وتفرض عليه أن يدرس نفسيات "الكائنات البشرية" وذهنياتها وتاريخها ليصوب خطابه إليها. ويبلغ الرسالة، ويؤدي الأمانة، ويأخذ حذرّه (ص 224).

حقوق الإنسان صرخة مروءة عند الفضلاء من كل ملة، ولعبة سياسية، وقانونية ضرورية للاستقرار الدولي، وذريعة لتدخل القوى الكبرى في البلاد الضعيفة، وكيل بمكيالين (ص 239).

## VII - النظام التربوي المغربي وإشكالية القيم:

إن المتعلم لا يكتسب القيم من المدرسة فقط، بل من كل الوسائط التربوية الأخرى كالأسرة، ووسائل الإعلام والاتصال والأقران والشارع. صحيح أن المدرسة بيئة تنشئية أساسية، وفضاء رئيس لإكساب القيم الإيجابية، لكن المسؤولية تبقى مشتركة بين جميع البيئات المتدخلة في التربية.

وبما أن المدرسة مسؤولة إلى درجة كبيرة عن إكساب القيم الإيجابية للمتعلمين، والقيم انعكاس للمثل العليا والمبادئ التي يتمسك بها المجتمع، فإن مدى المشروعية المجتمعية لنظامنا التعليمي يبقى موضع تساؤل.

### 1 - النظام التعليمي المغربي وسؤال المشروعية الاجتماعية:

يمثل المغرب نموذجا من نماذج الحكم الجبري، الذي تنفرد فيه السلطة السياسية بأهم القرارات، ومنها القرار في الشأن التربوي. ولعل من يقرأ تاريخ الإصلاحات التعليمية بالمغرب يدرك لا محالة هذا الأمر رغم ما تم إحداثه من مؤسسات ولجان، الغرض منها امتلاك نصيب من المشروعية. فمنذ أن استقل الشعب المغربي، والسلطة السياسية تدير رضى الإصلاحات في غير الاتجاه الذي يخدم المجتمع، والذي تعبر عنه الأصوات الحرة. وسأكتفي بإيراد ثلاثة أمثلة عن انفصام القرار التربوي عن السلطة المجتمعية:

#### 1.1 - المثل الأول:

عرفت سنة 1970 ثلاثة أحداث مهمة:

- إحداث المجلس الأعلى للتعليم: والذي من المفترض أن تكون له السيادة في القرار التربوي باعتباره- تجاوزا- ممثلا للمجتمع. لكن واقع الأمر يشهد أن



هذا المجلس لم يَقم بأي دور في "الإصلاحات التعليمية" إلى أن تم حله في عهد الملك الجديد، واستبدل به مجلس آخر.

- مناظرة إفران الأولى، والتي لم يتمخض عنها عمليا أي شيء.  
- صدور بيان يندد بالسياسة التعليمية للدولة، والتي سارت في ركاب طمس الهوية الإسلامية اللغوية للشعب المغربي. وقد وقع على هذا البيان خمسمائة شخصية تمثل جميع ألوان الطيف السياسي والنقابي والعلمي والثقافي والفكري.

ونقتطف من هذا البيان الفقرات الآتية:  
"يواجه المغرب منذ حصوله على الاستقلال سنة 1956، وبصفة خاصة منذ عشر سنوات، ضغطا استعماريا خفيا يرمي لإقرار وتثبيت وتعميم الوجود اللغوي الفرنسي في المغرب المستقل..."

وبالرغم من المعركة التي خاضتها المؤسسات العلمية والثقافية والنقابية والأحزاب الوطنية في المغرب بعد الاستقلال، وخاصة منذ المناظرة التاريخية التي نظمتها الدولة حول التعليم بمركز معمورة سنة 1964، تلك المعركة التي كانت تهدف إلى تحويل المؤسسة التعليمية الفرنسية التي خلفتها الحماية، إلى مؤسسة وطنية عربية اللغة، مغربية الروح والشخصية والأطر، فقد باءت بالفشل كل تلك الجهود، وبقيت المبادئ التي أجمعت عليها الأمة... حبرا على ورق..."

وقد خرج البيان بمجموعة من التوصيات والمطالب منها:  
- تقوية القيم الإسلامية والخلقية.  
- التعريب الكامل للتعليم والإدارة والعمل والشارع.  
- وضع المبادئ الأربعة المجمع عليها موضع التنفيذ.  
ورغم قوة لهجة البيان، وتوقيعه من قبل كل المكونات الرمزية (أمناء الأحزاب، مثقفون...) فإن السلطة المخزنية لم تتراجع عن سياستها، والتي أعلنت عن فشلها وما تزال.

## 1.2 - المثال الثاني:

تكونت لجنة سميت اللجنة الوطنية المكلفة بقضايا التعليم بموجب رسالة ملكية، وبدأت أشغالها في 2 غشت 1994، وأنهتها في 30 ماي 1995.

وقد كانت لجنة موسعة تضم ثمانين برلمانيا ومئتين وخمسين تقنيا. وأياً ما كان اختلافاً معها في جزئية من الجزئيات، أو أولوية من الأولويات، فإنه من الإنصاف أن نقر أن هذه اللجنة قامت بمجهود طيب يعيد الاعتبار لأحقية المجتمع بقراره التربوي. حيث كانت أعمال هذه اللجنة منسجمة مع أهم المطالب الاجتماعية في المجال التربوي. لكن هذه الأعمال لم ترق السلطة السياسية فتم إقبارها. وتم إحداث اللجنة الخاصة بالتربية والتكوين على أنقاضها.

### 1.3 - المثال الثالث:

تم تشكيل اللجنة الملكية الخاصة بالتربية والتكوين، والتي حرصت السلطة السياسية أن تشتمل على تمثيلية كل المكونات الحزبية والنقابية، لكن هذه اللجنة لجنة غير دستورية وفاقدة لأي مصداقية اجتماعية. ولذلك فقد أنتجت ما يسمى "ميثاق التربية والتكوين"، الذي تعد بعض فقراته قمة في الاستخفاف بأصالة وهوية الشعب المغربي المسلم، والذي لم يكن استجابة لحاجات المجتمع بقدر ما كان تجاوبا مع إملاءات البنك الدولي. (للتفصيل انظر: النداء التربوي العدد 8).

ولعل هذه الأمثلة غيض من فيض، مما يؤشر إلى استفراد السلطة المخزنية بالشأن التعليمي، وبالتالي ضعف العلاقة بين التربية والمجتمع، لافتقاد القرارات التربوية للمصداقية الاجتماعية.

### 2 - القيم من خلال مستجدات نظام التربية والتكوين بالمغرب:

انطلاقاً من "الميثاق الوطني للتربية والتكوين"، فإن الاختيارات التربوية المؤطرة لمراجعة مناهج المدرسة المغربية، تنطلق من مجموعة من المحددات، وهي<sup>11</sup>:

اعتباراً للفلسفة التربوية المتضمنة في الميثاق الوطني للتربية والتكوين، فإن الاختيارات التربوية الموجهة لمراجعة مناهج التربية والتكوين المغربية، تنطلق من:

11- لجان مراجعة المناهج التربوية المغربية، الكتاب الأبيض، 2002، ج1، ص: 11-12.

- العلاقة التفاعلية بين المدرسة والمجتمع، باعتبار المدرسة محركا أساسيا للتقدم الاجتماعي وعاملا من عوامل الإنماء البشري المندمج؛
- وضوح الأهداف والمرامي البعيدة من مراجعة مناهج التربية والتكوين، والتي تتجلى أساسا في:
  - المساهمة في تكوين شخصية مستقلة ومتوازنة ومتفتحة للمتعلم المغربي، تقوم على معرفة دينه وذاته، ولغته وتاريخ وطنه وتطورات مجتمعه؛
  - إعداد المتعلم المغربي لتمثل واستيعاب إنتاجات الفكر الإنساني في مختلف مظهراته ومستوياته، وفهم تحولات الحضارات الإنسانية وتطورها؛
  - إعداد المتعلم المغربي للمساهمة في تحقيق نهضة وطنية اقتصادية وعلمية وتقنية تستجيب لحاجات المجتمع المغربي وتطلعاته.
- استحضار أهم خلاصات البحث التربوي الحديث في مراجعة مناهج التربية والتكوين باعتماد مقاربة شمولية ومتكاملة تراعي التوازن بين البعد الاجتماعي الوجداني، والبعد المهاراتي، والبعد المعرفي، وبين البعد التجريبي والتجريدي كما تراعي العلاقة البيداغوجية التفاعلية وتيسير التنشيط الجماعي؛
- اعتماد مبدأ التوازن في التربية والتكوين بين مختلف أنواع المعارف، ومختلف أساليب التعبير (فكري، فني، جسدي)، وبين مختلف جوانب التكوين (نظري، تطبيقي عملي)؛
- اعتماد مبدأ التنسيق والتكامل في اختيار مضامين المناهج التربوية، لتجاوز سلبية التراكم الكمي للمعارف ومواد التدريس؛
- اعتماد مبدأ التجديد المستمر والملاءمة الدائمة لمناهج التربية والتكوين وفقا لمتطلبات التطور المعرفي والمجتمعي؛
- ضرورة مواكبة التكوين الأساسي والمستمر لكافة أطر التربية والتكوين لمتطلبات المراجعة المستمرة للمناهج التربوية؛

▪ اعتبار المدرسة مجالا حقيقيا لترسيخ القيم الأخلاقية وقيم المواطنة وحقوق الإنسان وممارسة الحياة الديمقراطية.

ولتفعيل الاختيارات والتوجهات التربوية العامة التي أعلن عنها الكتاب الأبيض، اعتمد مجالا القيم والكفايات مدخلا بيداغوجيا لمراجعة مناهج التربية والتكوين. وفيما يلي الاختيارات والتوجهات المعتمدة في مجال القيم<sup>12</sup>:

انطلاقا من القيم التي تم إعلانها كمرتكزات ثابتة في الميثاق الوطني للتربية والتكوين، والمتمثلة في:

- قيم العقيدة الإسلامية؛
- قيم الهوية الحضارية ومبادئها الأخلاقية والثقافية؛
- قيم المواطنة؛
- قيم حقوق الإنسان ومبادئها الكونية.

وانسجاما مع هذه القيم، يخضع نظام التربية والتكوين للحاجات المتجددة للمجتمع المغربي على المستوى الاقتصادي والاجتماعي والثقافي من جهة، وللحاجات الشخصية الدينية و الروحية للمتعلمين من جهة أخرى.

ويتوخى من أجل ذلك، الغايات التالية:

- ترسيخ الهوية المغربية الحضارية والوعي بتنوع وتفاعل وتكامل روافدها؛

- التفتح على مكاسب ومنجزات الحضارة الإنسانية المعاصرة؛

- تكريس حب الوطن وتعزيز الرغبة في خدمته؛

- تكريس حب المعرفة وطلب العلم والبحث والاكتشاف؛

- المساهمة في تطوير العلوم والتكنولوجيا الجديدة؛

- تنمية الوعي بالواجبات والحقوق؛

- التربية على المواطنة وممارسة الديمقراطية؛

- التشبع بروح الحوار والتسامح وقبول الاختلاف؛

12- المرجع نفسه، ص: 12

- ترسيخ قيم المعاصرة والحداثة؛
- التمكن من التواصل بمختلف أشكاله وأساليبه؛
- التفتح على التكوين المهني المستمر؛
- تنمية الذوق الجمالي والإنتاج الفني والتكوين الحرفي في مجالات الفنون والتقنيات؛
- تنمية القدرة على المشاركة الإيجابية في الشأن المحلي والوطني.

ومن الملاحظات الأساسية التي يمكن إبداءها في هذا السياق، عدم إقدام "الكتاب الأبيض" على إعطاء تعريف للقيم على غرار عدم تعريفه للكفايات. كما أنه لم يقدم مبررا على تقسيمه الرباعي للقيم، ولماذا هذا التجزئ الذي يفيد أن القيم الإسلامية معزولة عن القيم الأخرى كالمواطنة وحقوق الإنسان.

وفي نفس السياق يلاحظ الأستاذ الدريج تراجعا واضحا بخصوص الدعوة إلى الالتزام بتوظيف القيم في تحضير الدروس وبرمجة المواقف التعليمية والمجزوءات داخل الكتاب، والذي كانت قد أوصت به اللجان من قبل في الوثائق التمهيدية للكتاب الأبيض. كما يلاحظ سكوت الكتاب الأبيض عن البيانات التي انتهت إليها اللجنة البيسلكية ولجنة الاختيارات والتوجهات التربوية، في عملها الجاد لتفصيل قوائم القيم وتدقيق الارتباطات العامة بين أنواع القيم والكفايات، وكذا الارتباطات العامة بين المقاييس الاجتماعية والكفايات. كما سكت دفتر التحملات الإطار عن كل ذلك<sup>13</sup>.

أما على المستوى التنظيمي، فكان على "القيم"، أن تنتظر إلى حدود سنة 2006، حيث أصدرت وزارة التربية الوطنية والتعليم العالي وتكوين الأطر والبحث العلمي، المذكرة الوزارية رقم 88 بتاريخ 2006/06/05، وذلك من أجل إحداث وإرساء هياكل "مرصد القيم"، غير أنه على المستوى الإجرائي، لم يتم تحقيق المنتظرات المعلنة، في الوقت الذي تشهد فيه المدرسة المغربية من أشكال العنف والانحلال ما يؤكد شبه استقلال النظام التربوي المغربي من وظيفته الأخلاقية.

13- محمد الدريج، الكفايات في التعليم، منشورات سلسلة المعرفة للجميع، 2003، هامش الصفحة 238.

## VIII - المدرسة والقيم: أية علاقة ؟

عاملان أساسيان كانا دوما يتحكمان في توجيه المدرسة ورسم أهدافها وخططها، وهما العامل الديني والعامل السياسي. بل إن حركة التاريخ الإنساني تشهد أن العامل الديني من أضخم القوى المؤثرة في الحياة الإنسانية بشكل عام. وقوة بهذا التأثير لا بد أن تنعكس على المدرسة ورسالتها. ومن هذا المنطلق، فإن التربية المدرسية تعكس الانتماء الديني والقيمي للمجتمعات حتى في أكثر الدول تعصبا للعلمانية. ففي الولايات المتحدة تشير الإحصائيات إلى أن حوالي 90% من السكان يحصلون على تربية دينية موزعة على أربع سنوات<sup>14</sup>.

وبعد قيام دولة إسرائيل في فلسطين المحتلة ركزت في تربيتها على منهاج مدرسي بموجبه تم تخصيص خمس حصص دراسية لدراسة "التوراة". هذا في المدارس المدنية. أما في المدارس الدينية، فتدرس "التوراة" في إحدى عشرة حصّة من أصل أربع وعشرين، بل إن إسرائيل المحتلة تعمل على صبغ كل المواد ومنها التاريخ والأدب بالصبغة اليهودية.

ورغم أن بعض الدول تتبنى أنظمة علمانية، فإنها تتحمس لتدريس التربية الدينية في مناهجها. ومن الأمثلة على هذه الدول التي يدرس طلبتها في المدارس الحكومية تربية مسيحية فنلندا والنرويج وإيطاليا وإسبانيا، وكذلك معظم بلدان أمريكا اللاتينية.

وعندما يتساكن في بعض الدول مواطنون يدينون بشرائع مختلفة، فإن الكثير من الدول تراعي هذا التباين الديني، فمثلا كندا تلزم الطلبة بدراسة التربية الدينية في ثلاث مقاطعات، وتسمح بتدريسها في ثلاث مقاطعات أخرى، وتحظر تدريسها في مقاطعتين، وتدرسها بصفتها مواد اختيارية في مقاطعتين<sup>15</sup>.

وحتى في الولايات المتحدة الأمريكية، فإن رئيس الدولة يقسم اليمين الدستوري على الإنجيل، وتفتتح دورات الكونغريس بتلاوة نصوص من الكتاب

14- The - Ham Religions, Education in the Church published in the Encyclopedia of Education Macnillan company and free Press , 1971, vol.7, p:476

عن سعيد التل وآخرين: المرجع في مبادئ التربية، الأردن، دار الشروق للنشر والتوزيع، 1993، ص: 23/22.

15- المرجع في مبادئ التربية، مرجع سابق، ص489.

المقدس، كما تظهر عبارة "نثق بالله" على النقد الأمريكي. بل إن الرئيس الأسبق رونالد ريغان أيد اقتراحا يتضمن إعادة الصلاة في المدارس. نستنتج من ذلك أن جميع الأمم تحترم في أنظمتها التربوية خصوصياتها الدينية واللغوية، وأن التربية المدرسية ترتبط ارتباطا واضحا بقيم المجتمع. فالمدرسة إذن مؤسسة اجتماعية متخصصة أنشأها المجتمع لتربية أفراده وتعليمهم. ولتقوم بوظيفتها الحقيقية، ينبغي أن تمتلك المشروعية الاجتماعية، ولن يتأتى لها ذلك إلا إذا تولدت لدى أفراد المجتمع قناعة بأنها تخدم أهدافهم واحتياجاتهم.

## IX. اللغة والقيم:

تعد مسألة اللغات بمثابة عامل بنيوي لأزمة المدرسة المغربية، بسبب عدم ملائمة الخيارات المنتهجة في هذا المضمار، سواء تعلق الأمر بلغات التدريس أو بتدريس اللغات. وهي خيارات يترجمها ضعف إتقان التلاميذ والطلبة للغات<sup>16</sup>.

إن الطفل المغربي يعيش تمزقا لغويا بالمؤسسات التعليمية، بموجبه تختلط عليه القيم التي يحملها التعدد اللساني. إنه يعاني من ازدواجية لغوية تكاد تقترب من "طريقة شارل الخامس، الذي أقر بأن الإسبانية ينبغي أن توظف في مخاطبة الإله، والإيطالية في الحديث إلى النساء، والفرنسية في الحديث إلى الرجال، والألمانية في التوجه إلى الجياد"<sup>17</sup>.

إن مزاحمة اللغة الفرنسية للغة العربية، وبالغلاف الزمني المحدد لها، له خطورة على النمو اللغوي والمعرفي بما يمثل من انعكاسات سلبية نتيجة الازدواجية اللغوية. ويكفي أن نقدم الجدول التالي لنقارن عدد الساعات التي يدرسها المتعلم المغربي سنويا في كل من اللغة العربية واللغة الفرنسية، في السلك المتوسط من التعليم الابتدائي (المستويات الثالث والرابع والخامس والسادس)<sup>18</sup>:

16- تقرير اللجنة الوطنية للتربية والتكوين، ص:37.

17- عبد القادر الفاسي الفهري، اللغة والبيئة، منشورات الزمن، 2003، ص:18-19.

18- انظر الكتاب الأبيض، ج:2، المناهج التربوية لسلكي التعليم الابتدائي، 2002 (الغلاف الزمني السنوي للمواد)، ص:19.

المادة	المستوى 3	المستوى 4	المستوى 5	المستوى 6	مجموع الساعات
اللغة العربية	238	221	204	204	867
اللغة الفرنسية	272	272	264	264	1072

لأشك أن هذه الوضعية لها خطورة كبيرة على المتعلم المغربي في أبعاد شخصيته المختلفة، لذلك أكد الأستاذ عبد القادر الفاسي الفهري أن "أي تعليم لغوي متعدد (مقترن بتعدد لهجي)، ينبغي أن يقوم أولاً على تمكين الطفل المغربي من اكتساب اللغة الوطنية الرسمية. عبر إغماس مبكر، لتلافي الانعكاسات السلبية للازدواجية على النمو اللغوي والمعرفي، والشروع في تعليم اللغة أو اللغات الأجنبية في سن لاحقة متأخرة (ابتداء من الثانية عشرة، أو التاسعة في أحسن الظروف)، بعد أن يكون الطفل قد ضلّع في لغة هويته وفكره وثقافته مجتمعه بصفة كافية، لا تعيق نموه، ولا تتسبب في اضطراب قدراته"<sup>19</sup>.

## X- تشخيص إجمالي لوضعية النظام التعليمي المغربي:

إن من أكبر العوائق التي تحول دون التشبع بالقيم المنشودة هو الوضعية الحالية "الكارثية" التي يعيشها النظام التعليمي المغربي، والتي عبر عنها السيد وزير التربية الوطنية أمام السادة مديري الأكاديميات ونواب الوزارة يوم 16 فبراير 2006 بقوله: "ولكي ننطلق من التفكير في توفير الشروط، ونتفق على ما يجب القيام به في أفق الدخول التربوي القادم، لابد من استحضار ما عشناه جميعاً بمناسبة الدخول (المدرسي) السابق. لقد تابعت، أنتم نساء ورجال الميدان، وبكيفية ملموسة، كل الأطوار التي جعلت بدون شك من الدخول التربوي السابق دخولا صعبا، وتميزت، بصفة عامة، بارتباك كبير رغم تفاوته".

ونقتطف شهادة أخرى، من تقرير التنمية البشرية الذي أشار إلى عمق الأزمة التي يعاني منها نظامنا التعليمي، ذلك أن "مع بداية الثمانيات، بدأت

19- اللغة والبيئة، مرجع سابق، ص: 19.



المنظومة التربوية في التراجع، لتدخل بعد ذلك، في أزمة طويلة، من بين مؤشراتهما: الهدر المدرسي، وعودة المنقطعين عن الدراسة إلى الأمية، وضعف قيم المواطنة، ومحدودية الفكر النقدي، وبطالة حاملي الشهادات، وضعف التكوينات الأساسية (القراءة، الكتابة، الحساب، اللغات، التواصل)<sup>20</sup>.

ويأتي تقرير المجلس الأعلى للتعليم الصادر سنة 2008 ليؤكد عمق الأزمة التي تنخر المنظومة التربوية بالمغرب في العديد من المجالات والمكونات. ولعل الاختلالات التي يشهدها نظامنا التعليمي، والتي تعترف بها الوزارة<sup>21</sup>، لا يمكن إلا أن تكون عقبة كأداء في وجه استنابات واستثمار القيم المنشودة في فضاء المؤسسات التعليمية. ومن هذه الاختلالات:

- هشاشة البنيات الأساسية للمؤسسات التعليمية؛
- ضعف التكوين الأساسي والمستمر للموظفين؛
- العجز في التنظيم الديداكتيكي والمادي للأنشطة التكوينية والابتكارية؛
- قلة المبادرات المندمجة المتخذة لحد الآن لضمان جودة متساوية ومتكافئة في التربية بين الوسطين القروي والحضري؛
- الاكتظاظ بالأقسام بسبب العجز في توسيع الطاقة الاستيعابية للمؤسسات التعليمية، ونتيجة المغادرة الطوعية؛
- ضعف الاعتمادات اللازمة لإصلاح وترميم المؤسسات التعليمية؛
- قلة الوسائل التعليمية بالمؤسسات التعليمية؛
- مشكل النقص الكبير في تعويض المتلاشى من الأثاث والتجهيزات المدرسية؛

- نقص في عدد المطاعم المدرسية حيث لا يستفيد منها سوى 51 في المائة من المتمدرسين بالعالم القروي؛
- قلة المنح الدراسية المخولة لتلاميذ التعليم الثانوي الإعدادي بالوسط القروي وخاصة الفتيات؛
- ضعف مردودية النظام التربوي بسبب الهياكل التنظيمية التي تعتمد غالبا في التدبير العملي على احترام دقيق للمساطر والتوجيهات عوض الاعتماد على النتائج والتأطير والمراقبة.

20- تقرير التنمية البشرية خلال 50 سنة، ص: 15.

21- انظر وزارة التربية الوطنية، مغرب التربية، 2004.

-ضعف تأثير أنشطة الشراكة والتعاون.

وعموما، يمكن القول إن أهم العوائق التي تحول دون اكتساب القيم الإيجابية في فضاء المؤسسات التعليمية المغربية، منها ما يرتبط بطرق تدبير التربية والتعليم (البيروقراطية، تركيبة المجالس الإدارية للأكاديميات وبطء التسيير، أعباء الإدارة المدرسية، الأعباء الاجتماعية،...)، ومنها ما يرتبط ببنية المؤسسات (الحجرات الدراسية، التجهيزات، فضاءات الأنشطة الموازية...)، ومنها ما يتعلق بالعنصر البشري (التكوين الأساسي والمستمر، القدوة، الاقتناع بالقيم وطبيعتها، القدرة على الإقناع...)، ومنها ما يرتبط بالمنهاج الدراسي (عدم الانسجام والتكامل بين المواد الدراسية، الازدواجية اللغوية، كثرة المواد الدراسية...).

## XI. مقترحات لتجاوز معوقات اكتساب القيم الإيجابية بالمؤسسات التعليمية:

بداية نشير إلى أن الأزمة العامة التي يشهدها المغرب، ومنها أزمة النظام التعليمي المغربي الذي عجز عن تحقيق الآمال المعقودة عليه، ومنها قصور مؤسساته في إكساب الناشئة القيم الإيجابية المنشودة، والمنسجمة مع ثوابت المجتمع المغربي، أزمة لا يمكن حلها إلا باعتماد المداخل الأساسية للإصلاح الشامل، ومنها فتح حوار وطني يشارك فيه الجميع دون إقصاء، والاتفاق على ميثاق جامع يوحد الجهود وتتعبأ حوله الطاقات، يعقبه وضع دستور جديد ثم انتخابات نزيهة تفرز حكومة قادرة على التغيير الشامل.

وفي أولويات هذا التغيير، يحتاج نظامنا التربوي إلى:

-رؤية: مناسبة، سليمة، واضحة، مشتركة.

-خطط: واقعية، مهنية لكل المستويات.

-التزام: سياسي، اجتماعي، مهني، مالي.

-تقويم: "للمدخلات، العمليات، المخرجات، النواتج" وفق معايير وأدوات مناسبة، ومنهجية علمية.

-محاسبة: للأفراد، والمؤسسات.

وذلك من أجل اكتساب القيم في فضاء مدرسي يشارك فيه:

- متعلم: نشط مشارك في عملية التعليم والتعلم.
  - منهج: مناسب للمتعلم وحاجات المجتمع والمتطلبات العالمية.
  - أستاذ: عارف بمادته، مجيد لطرائق التعلم المناسبة، قادر على تشخيص حالة تلاميذه، ماهر في تقويم تحصيلهم، موجه فاعل لسلوكهم.
  - بيئة تعلم: آمنة (فكريا ونفسيا، واجتماعيا، وجسديا) وحافزة على التعلم.
  - مدرسة: فاعلة إداريا وتربويا.
  - مجتمع: مشارك للمؤسسة التربوية، واثق بمردوديتها، غير معيق لها، مقوم موضوعي لمخرجاتها.
  - حكومة: ملتزمة سياسيا وماليا وتنظيميا.
- في انتظار تحقق ذلك الأمل، نقترح على نظامنا التعليمي، من أجل الاهتمام بالجانب القيمي في مؤسساتنا التربوية، المسكّنات التالية:
- القيام بدراسة حول القيم الإسلامية وما يندرج تحتها من قيم التواصل والتساكن والتعايش، ومختلف القيم المستحدثة المتوافقة مع روح الشريعة الإسلامية، تتوخى الجرد والتصنيف من جهة، ثم رسم خطة تتوخى الدمج المتدرج للقيم في المناهج الخاصة بمختلف المستويات الدراسية.
  - استحضار القيم الإسلامية عند تحديد شروط التأليف المدرسي في دفاتر التحملات.
  - تضمين القيم المستهدفة، في الأطر المرجعية التي يعدها المركز الوطني لامتحانات لاعتمادها ضمن عناصر التقويم.
  - إشراك مؤسسات المجتمع المدني في تخطيط المناهج الدراسية للإفادة من قوتها الاقتراحية، وذلك عند تحديد شروط التأليف المدرسي، وأيضا في لجان المصادقة والتقويم.
  - تفعيل لجان المجالس الإدارية للأكاديميات بما يكفل الاهتمام بالشأن القيمي في المؤسسات التعليمية.
  - تخصيص جزء من الميزانيات المرصودة للأكاديميات، لتتبع ومراقبة مدى حضور واحترام القيم بمؤسسات التربية في تراب الجهات.

-تخصيص جزء من ميزانيات الاستغلال المفوضة للنيابات لمراقبة المؤسسات التربوية التابعة لها في مجال القيم.

-ضرورة تعميم مرادف القيم في كل المؤسسات التعليمية، مع اختيار أفضل العناصر المشهود لها بعنصري الأمانة الخلقية والكفاءة المهنية، للإشراف على هذه المرادف.

-تفعيل الأنشطة الموزارية وتنشيط مختلف الأندية، بما يكفل انفتاح المؤسسات التربوية على محيطها المحلي والوطني والدولي.

-تفعيل الشراكة بين المؤسسات التربوية الوطنية وبين المؤسسات الأجنبية في إطار التبادل الثقافي بما يكفل الانفتاح والتواصل المبني على احترام الخصوصيات ودعم القيم المشتركة.

-تحرير اللغة العربية من الضيم والمزاحمة من قبل اللغات الأجنبية في السنوات الثلاث الأولى من التعليم الابتدائي لترسيخ أقدام الناشئة في أرض لغتهم العربية، لغة دينهم ورمز هويتهم.

-الحرص على ربط المضمون القيمي بالممارسة داخل المؤسسات التعليمية، وربط الفكر بالسلوك على جميع المستويات.

-مراقبة مدى احترام المناهج الدراسية المعتمدة، من قبل جميع المؤسسات التربوية بما فيها مؤسسات التعليم الخصوصي التي يعمد بعضها إلى استعمال كتب مدرسية أجنبية بما تتضمن من حمولة وقيم حضارية، لا تمت إلى قيم المجتمع المغربي بأصل، ولا تمتد إليه بوصل.

-اتخاذ مختلف الاحتياطات اللازمة أثناء الاقتباس من الآخر، وذلك بضرورة التأمل والنقد، قبل الانتقاء المؤسس على الانسجام مع قيمنا وأصولنا.

-الحرص على تدريب العقول بتنمية مهارات التفكير العلمي بالموازاة مع تربية القلوب على الإيمان بالقيم الإسلامية وممارستها.